الأبعاد السيميائية لفعل الترجمة (مقـــــاربة ثقافيـــــــة)

د/الأحمر فيصل
جامعة- جيجل -

لا يمكن أن نعود بالترجمة إلى تاريخ محدد يفترض انطلاقهـا منــه... وذلــك لأن الترجمة نفسها – كما سنرى لا حقا- اكتسبت على مر التاريخ أكثر من دلالة واحدة، فهي حينا نقلٌ لأفكار أخرى (اقتباس) وحينا آخر تبدو شاملة لأي حديث عن الأجانب (التاريخ مثلا)، كما لا يُمتنع أن تتعلق بالحديث عن الإنتاج الفكري للآخرين (التعليق والعرض)... وسنجد كل كتابة تتحول إلى ترجمة بهذا الاعتبــار ... إلا إن المتــرجمين المختصــين والمنظرين وخاصة مؤرخي الترجمة يحاولون عدم الابتعاد عن المعنى الأكثــر تــداولا والذي هو نقل إنتاج الآخرين من لغة إلى أخرى مع وجود نص متداول معروف في لغته الأم.

يعود بعض المؤرخين إلى ملحمة غلغامش (3000 ق.م) التي وجدت لها آثار في أكثر من بيئة لغوية ويقولون إنها نالت رواجا ما وقام الرواة – على أبعد تقدير – بنقلها مــن لغتها الأصلية (السوسرية أو الأكادية)... ويستدلون بذلك على أول فعــل ترجمـــة فـــي التاريخ المعروف... إلا أن مؤرخين آخرين يأتون إلى محطة أقرب بكثير متوقفين عنـــد النصوص الدينية الهندية المتعلقة بعقائد الفيدا VEDA (حوالي 1500 إلــى 1000 ق.م) إذ نملك اليوم وثائق قديمة تقدم هذه النصوص بلهجات عديدة كي يتمكن منها أكبر عـــدد من الأتباع.

ويعد المؤرخان جيورجي رادو وجورج شتاينر G. RADO / G. STEINER أهــم مؤرخين لظاهرة الترجمة (1967، 1975 بالترتيب) وسوف نتبنى تقسيم شـــتاينر الـــذي أرّخ للترجمة كفعل واع بنفسه، لا كوسيلة للتعامل مع كتابات الآخرين فحسب، وقد قسم المراحل التي مر بها ما يسميه شتاينر بـــ " الوعي بالترجمة " إلى أربعة أقسام هي(1)

• **المرحلة التجريبية:** أول مترجم في الغرب هو الأسير الذي تم عتقه ليفيوس أندرونيكوس الذي ترجم الأوديسا إلى اللاتينية عام 240 ق.م ... في حين يعد أول منظريْن لفعل الترجمة هما الكاتبان الرومانيان: شيشرون (كتاب الموعظة الكبرى – 46 ق.م) وهوراس (عن الشعر –20 ق.م) وكانا متفقين على اعتبار الشاعر ناشرا للمعرفة والحكمة ومزوّدا للغة المحلية بما يأتي به من ثقافات مجاورة أو قديمة... كما تناول كل منهما فكرة التعامل مع نصوص الآخرين، وفكرة اقتباس المعنى حينا واقتباس الأفكار حينا آخر...

ومن الشعر الأغريقي الذي ظل مهيمنا على المترجمين إلى اللاتينية انتقل الاهتمام بدءًا من القديس جيروم SAINT JEROME (384 م) إلى ترجمة الكتاب المقدس طورا بعد طور، إيمانا من هذا القديس بأن القراءة الجديدة لهذه النصوص هي وسيلة للصراع ضد الحكام الذين يفرضون نمطا من القراءة اتكاء على بنية لغوية معينة لا مهرب من تأويلها إلا بالترجمة إلى لغة أخرى (أو حتى بالترجمة داخل اللغة نفسها، شيء مثل تحديث القوالب اللغوية)(2).

وهو المنحى نفسه الذي يسير فيه الملك الفريد وهو يقرر وسط زوابع الكنيسة في القرن التاسع للميلاد أن يأمر بترجمة الكتاب المقدس من اللاتينية إلى الإنجليزية كي يرفع مستوى الروح الدينية لرعاياه ويحسّن تدينهم... بعد ذلك بقرون اتهم المترجم الإنجليزي تينداil (1525) بالزندقة بسبب ترجمة أنجزها أزعجت النظام الملكي... إلا أن الترجمة الألمانية التي قام بها لوثر (1500) تعد اليوم من المنعرجات الحاسمة للنهضة الأوروبية.. ولهذا نقرأ في التاريخ الثقافي لأوروبا عن كون النهضة ميدانا "للجدال بين المترجمين".

ولا يمكن أن حصر كل الظواهر التي يزخر بها عصر النهضة، لذلك نكتفي بذكر بعض المحطات المرتبطة بمباشرة الترجمة تجريبيا لا منهجيا.

- في تحفته الفنية (حكايات كانتربري) جاور الإنجليزي تشوسر التأليف والترجمة والاقتباس والمراسلات والنقول ... عادّا كل ذلك وجوها لعملة واحدة هي التأليف الفني (1380).

- **المرحلة الإليزابيثيـــة:** شهدت حركة ترجمة واسعة جـــدا، ويبـــدو أن الملكـــة أرادت مضاهاة ما كان شائعا قبلها بقرنين أو ثلاثة في طليطلة وبغداد ... (أحـــدهم عنـــون كتابا له: الترجمة ، ذلك الفن الإليزابيثي).

- في القرن 16 ظهر أول كتابين ينظران لعلم الترجمة، هما على التـــوالي: " طرائـــق الترجمة من لغة إلى أخرى " (1547) للفرنسي إيتيين دولي – "مختصر الترجمـــة" (1570) لمارتن لوثر الألماني). وقد حدد إيتيان دولي خمسة أســـس لا بـــد منهـــا لإجادة الترجمة(3):

أ–الفهم الجيد للنص الأصلي مع توضيح النقاط الغامضة والتنقيب عن خفاياها.

ب– المعرفة الجيدة باللغات المعنية.

ج– تجنب الترجمة الحرفية le mot à mot.

د–استعمال اللغة التداولية أثناء الترجمة.

ه–اختيار الكلمات وتنظيمها من أجل المحافظة على الإيقاع الأصلي وعدم إهـــدار روح النص.

- **المرحلة الفلسفية**

بعد القرن 19 المرحلة الفلسفية لتطور " علم الترجمـــة" : (وإن كـــان المـــيلاد الحقيقـــي للترجمة كعلم لا يعود إلى أبعد من النصف الثاني للقرن العشرين) لأسباب عديـــدة، مـــن بينها كون العلوم الأخرى بدأت تنظر إليها (الترجمة) كوسيلة للتفكيـــر لا كوســـيلة لنقـــل الأفكار فحسب (شليغل، إيمرسن)(4)، وربما يكون ما يجب ذكره في سياق الحديث عـــن تاريخ الترجمة في القرن 19 هو الجمهرة الكبيرة من المستشرقين الإنجليز الذين انتقلـــوا إلى البلاد العربية وبعض بلدان آسيا من أجل دراسة اللغة (الفكر، الثقافة)، وكان ذلك في إطار خدمة الاستعمار للأسف الشديد – لا في إطار علمي... إلا أن هذا الصنيع هو الذي جرّ المنظرين إلى التأمل في البعد الفلسفي للترجمة (ونقصد بالبعد الفلسفي تعدد الأبعـــاد وتعقد الأهداف وتداخلها) وقد كتب شاعر ألمانيا " غوتة" (ديوانه الشرقي – 1819–) وفي مقدمته عرض مسهب للدور المركزي للترجمة التي يراها واقفة بالضرورة خلف كل أدب جيد، وذلك مرورا بخطوات ثلاث(5):

أ– التعريف بالبلدان الأجنبية حسب المقاييس المتزامنة معنا.

ب- نقل معنى النص إلى جانب روح مؤلفه وطريقة تفكيره وذلك بواسطة التمثيل والاقتباس.

ج- خلق هوية متوسطة للمسافة بين الأصل والترجمة، وذلك باختراع طريقة جديدة للكتابة تحافظ على خصوصية الأصل وروحه وتؤديهما بشكل جديد.

رؤية فلسفية أخرى هي تلك التي عبر عنها الشاعر الإنجليزي بيرسي شيلي (1821) حينما عدّ الترجمة فعلا مشبعا بالهباء، لا جدوى منه في الحقيقة، لأن ما نترجمه مختلف أبدا عما كتبه صاحبه أول مرة، وكان يردد بمرارة بأن التراجم التي قام بها (وهو مترجم غزير) لم تكن سوى ملء الفراغ الثقيل بين قصيدتين فحسب.

المساهمة الثالثة في هذه الاعتبارات الفلسفية جاءته من قبل مترجمي الكتب المقدسة التي تعبر جميعها على قدسية الكلمة وحتى قدسية الحرف (كما هي الحال في القرآن الكريم) ، فالترجمة هنا تتحول إلى نشاط خطير وإلى أرضية ملغمة في بعض الأحيان.

وإذا كان بودلير (مترجم أعمال إدغار آلان بو 1848-) متفائلا إلى درجة جعلته يقرّ بإمكانية ترجمة القصيدة الجيدة إلى مقطوعة موسيقية أو إلى لوحة زيتية وليس فقط إلى قصيدة تماثلها فإن الاتجاه الغالب كان متشائما بسبب ضيق السبل التي لا تؤدي سوى إلى أحد المنفذين(6):

أ- اللجوء إلى الترجمة الحرفية، والاهتمام فقط بدقة النقل اللغوي، وهو الأمر المؤدي إلى إنتاج تراجم متكلفة.

ب- خلق لغة على قدر من الغرابة تستطيع خلق شعور بخصائص النص الوارد على اللغة المترجم إليها كما هي في اللغة الأصلية (غرابة تذكر بالهوة الزمانية والمكانية للنص).

وربما يكون الجدل الحاد في النصف الثاني من القرن 19 والذي دار حول اللغة التي ينبغي أن تترجم بها الأعمال الإغريقية .

وكان الفيلسوف ماثيو آرنولد (صاحب كتاب " حول ترجمة هوميروس" – 1861-) يقول إنه يجب أن يترجم بلغة حديثة خالية من العبارات القديمة والاصطلاحات الميتة، ثم إن المترجم يجب ان يكون من " الشعراء العلماء" كي يلمّ بعناصر التأثير في النص الأصلي ثم يخترع طرائق لإحداث الأثر نفسه في اللغة الحديثة المترجم إليها.

وعلى امتداد القرن ظل التيار الأكثر احتراما هو اتجاه الأدباء المترجمين (عن حماس وميل شديد) لأدباء آخرين، رغم أن بعضا منهم ترجم نصوصا تحمّس لها دون أن يكون ضليعا في لغتها، وكانت النتيجة تحفا فنية في اللغة المترجم إليها ... ألم يصف غوته ترجمة الشاعر الفرنسي جيرار دي نيرفال لمسرحيته "فاوست" بأنها أحسن من النص الأصلي الذي كتبه هو بالألمانية...(ونذكر في هذا الصدد أيضا بتراجم بودلير لادغار آلان بو) ... والملاحظ في هذه الفترة هو كثرة التراجم الأدبية خاصة من الروسية ومن الإنجليزية صوب اللغات الأوروبية الأخرى... وكذلك وجود تأملات عابرة للممارسين حول النشاط الذي كانوا بصدد مباشرته.

- **المرحلة العلمية(7)**

القفزة الكبيرة التي قفزتها الترجمة كي تتحول إلى "علم" حدثت بعد الحرب العالمية الثانية، وساهم في ذلك كثير من المعطيات، على رأسها تطور علم اللسانيات الذي دفعت به الأوساط الحكومية إلى التعرف أكثر على اللغات المحلية واللهجات الدارجة، وذلك من أجل الجوسسة والتجارة أساسا... عامل ثان هو تكاثر عدد الصحف وحاجة هذه الأخيرة الماسة إلى نصوص مترجمة...ومن جهة ثالثة نشوء تشكيلات جمعوية مهتمة بالكتاب المقدس، عملت على ترجمته إلى لهجات محصورة الدائرة ... وكل ذلك مما تضطلع به المباحث اللسانية (المدرسة الأمريكية أساسا)... وهذه الحركة التي وسعت نشاط الترجمة وأكثرت عدد المترجمين ، جرّت في السياق نفسه إلى التأمل في الذات من أجل تعريف علمي وعقلي لا يترك مجالا للأخذ والرد مثلما هي حال المحاولات السابقة... وقد أصبح المنظرون في القرن العشرين غير راضين بفكرة القرن 19 التي تجعل أبعد هدف ترجوه ترجمة جيدة هو النقل الوفي للأصل المستوفي للمضمون والمحافظة على قدر كبير من الشكل مع واقعية معينة ... وأثر في كل ذلك ما ذكرناه مما أدى إلى الشرخ الكبير بين أدوار كل من المترجم والقارئ والناقد والمؤلف (وهو الأمر الذي لم يحدث من قبل بشكل تام الوضوح). ثم إن الترجمة – والتي كانت أدبية بالدرجة الأولى– وسعت دائرة نشاطها بغتة لتشمل ميادين جديدة مثل الكتابة للطفل، كلمات الأغاني، الكتابات القانونية ... الخ، كما صارت تستعين بها تقنيات متنوعة جديدة (دبلجة الأفلام، ترجمة الإشهار)... كل هذا النشاط أدى إلى ضرورة مقاربة العملية بطريقة علمية (بمساعدة اللسانيات ثم السيميائية)... كما دخلت بعين الاعتبار عناصر جديدة مثل الكفاءة المهنية المؤدية إلى

الربح المادي، ومحاولة إسناد مهام الترجمة إلى أجهزة متخصصة لربح الوقت وتوفير المال، وكذلك – وللسبب الأخير دائما – إسناد مهام الترجمة إلى الطلبة المبتدئين الذين لا تجربة لهم...الشيء الذي أدى إلى تهميش المترجمين الأدباء وتحويلهم إلى الصف الثاني، لفائدة ترجمة تريد نفسها علمية.

- **المرحلة التأويلية:**

بدءا من الستينات، وفي سياق عالمي يسمه تحرر البلدان المستعمرة، الشيء الذي أدى إلى تكاثر اللغات المستعملة على الساحة الدولية، كما تسمه الاسئلة الكبيرة ذات الطابع الفلسفي حول الدور الثقافي لعلم الترجمة، والمساهمة التي من شأنه أن يقوم بها من ثقافة مسالمة متفتحة على عالم ما بعد الاستعمار (8)... بدءا من هذه المرحلة إذن انتقلت الترجمة إلى علم يبحث عن وسائله وعن ماهيته في حد ذاته، فاستقل عن كل الميادين المعرفية، ودخل في سلوك تأويلي ... باحثا بذلك عن أسباب وجوده في ذاته لا في "ما حوله" ... وشيئا فشيئا أصبح السؤالان الكبيران هما:

- لماذا لازمت الترجمة الإنسان منذ القديم؟ أي: ما الذي يجعل الترجمة حتمية تاريخية؟
- كيف يتم الاشتغال الداخلي للترجمة؟ (ويلحق بهذه المساءلة بحث عن تصنيف منهجي دقيق لأنواع الترجمة وطرق اشتغال كل نوع على حدة).

الأبعاد الثقافية للترجمة

بعد هذه الخلاصة التاريخية وجب طرح الاسئلة المتعلقة بالترجمة منظورا إليها من زاوية حضارية بحتة، وحينما نقول " حضارية" تكون ظلال هذا النعت التقريبي متعلقة أساسا بالنظر إلى المنعوت من زاوية ثقافية ومن زاوية موقع الموضوع المتحدث عنه في الإطار الجيوسياسي للعالم.

ما يحدث على أيامنا هو غوص الترجمة بأنواعها في ميادين كثيرة – تكاد تتجاوز الحصر، و هي قسمان؛ أحدهما تقني بحت، مما هو مذكور سابقا أو ما يقترب منه، والقسم الآخر هو التراجم " الموجهة" أو " الخطيرة"، ويدخل في هذا الإطار كل ما هو ترجمة سياسية أو التراجم التي تقوم بها مراكز بحث متخصصة في شؤون بقعة ما من العالم... لقد لاحظ بعضهم أن ترجمة المقتطفات التي تلقي الضوء على العقلية العربية والمأخوذة من أهم المواقع تاصحفية العربية هي ترجمة موجهة إلى حدّ بعيد، ثم تحرى

هؤلاء الملاحظون– المقربون من البنتاغون– فوجدوا التراجم عبارة عن خدمات مجانيـة من قبل مركز بحث ذي توجهات صهيونية ... والسؤال الواجب طرحه هنا هو: هل يمكن أن تكون الترجمة خيانة مزدوجة لا خيانة واحدة كما تعلمنا؟(9) ... ثـم يتولـد السـؤال الثاني: كيف يمكن أن نعالج هذا العدول الكبير عن مهمة الترجمة الأساسية التي هي مـد جسور التواصل بين الإنسان وأخيه الإنسان؟

لا شك أن هذه المداخلة البسيطة لا تطمع في ضخامة مشروع كهذا... بل تكتفي بالإشارة إلى بعض المواقع.

جاء شعور قوي لدى المثقفين بانحسار دائرة الاستعمال اللغوي نتيجـة التلفزيـون (منـذ سبعين سنة) والإعلاميات (منذ خمسين سنة) وشبكة الأنترنت (منذ خمسة عشرة سنة على أبعد تقدير)... وتنامى هذا الشعور أمام المدّ الكبير لبعض اللغات " المهيمنة" كالإنجليزيـة والفرنسية والصينية – مؤخرا – في ظل مفاهيم سابقة كالقرية الكونية وحالية كالعولمـة والكوننة شعور جعل كثيرا من قراء الكرات الجيوسياسـية البلوريـة يتوقعـون مـوت الترجمة... إلا ان الواقع أثبت غير ذلك، فالعولمة بقدر ما تعمل على نشر لغـة مهيمنـة (كالإنجليزية) بقدر ما تحافظ على انغلاق بعض أبناء بعض البيئات اللغوية على لغاتهم، والهدف من ذلك – لسوء حظ الترجمة – هو انغلاق الثقافة البعيدة عن دائرة الهيمنـة – كما سنرى لاحقا – ... أما منطلق هذا فربما يكون التعريف الجديد للثقافة فـي نهايـات القرن العشرين، وانتقال مفهوم الانفتاح على المعرفة البشرية، وتلقيح الأنا بالآخر، والتزام قيم الإنسانية بدلا من قيم القومية أو أي نوع آخر من القيم الأممية ، إلى مفاهيم أخـرى عبر عنها تيري ايجلتون تعبيرا مختصرا جيدا وهو يصرّ على ثلاث نقاط هي(10):

أ- النظر إلى الثقافة على أساس كونها تربية أخلاقية، أي انها خاضعة لبرنـامج أو لمنظومة من القيم " المحضورة" التي تحدد الأخلاقي من أجل إقصاء ما هـو لا أخلاقي... ولا يخفى أن للعصبيات الدينية النشطة منذ حوالي أربعين سنة فـي مختلف أنحاء العالم دورا أكيدا في انكماش تعريف الثقافة بهذا الشكل.

ب- التعددية كآلية عنيفة لإقصاء الآخر بإذابته في الأنا، لا كآلية للاعتراف بـالآخر وجعل الـ" هو" يقف إلى جانب " الأنا" حسب الحلم الرومانسي الذي بشرت بـه ما بعد الحداثة ... والنموذج الإمريكي (سنعود مرارا إلى هذا الأميركا المهيمنة) الذي يعمل على إذابة وابتلاع مختلف الاثنيات تحت عنوان "تعـدد الأعـراق"،

والذي ينتج أفرادا مختلفي الشكل (واللون و الملامح) متشابهين تماما في المضمون " الأخلاقي".

ج- التراوح المستمر بين المركز والهامش، فالمركز صورة تقدمها الثقافة للإعلام وتنطق بها المؤسسة وتكرسها البرامج التعليمية والخطابات السياسية والهامش هو تلك الطاقة الكامنة التي تقهر باسم المركز في انتظار أن تحظى بكثافة كافية كي يلتقطها المركز ... وهكذا.

في ظل هذا البرنامج الجديد الصارم يصبح التعريف القديم للترجمة بحاجة إلى إنعاش لا شك فيه، وتصبح الرقعة بحاجة إلى تحديث ما.

الترجمة من...؟ أم الترجمة إلى ...؟

كثيرا ما وضعت الترجمة على أساس كونها سلاحا لمواجهة الضعيف لهيمنة قويّ ما، فكأن الثقافة المواجهة للضغط تعمل بواسطة الترجمة على فرض وجودها وإلقاء الضوء على خصوصياتها ومحاولة الخروج من دائرة الانعزال المسلط عليها، وقد حدث شيء كهذا في بدايات العصر الذهبي للترجمة في الثقافة العربية، إذ يبدو أن أسماء المترجمين آنذاك: يوحنا بن ماسويه، ابن البطريق،ابن مطر، عبد الله ابن المقفع ... وتراجمهم ليست بمعزل عن اختياراتهم الثقافية، وإن كان هذا الموضوع محتاجا إلى دراسة أوسع مما نحن بصدده، كما حدث مرارا وعلى امتداد التاريخ، وقد يكون العدد الكبير من الكتب الروسية التي ترجمها الروس إلى مختلف لغات العالم أثناء فترة الحرب الباردة، خير دليل على ما نشير إليه .

ويسير بالتوازي مع هذا المسار ذلك الاتجاه الانعزالي الذي يرى الترجمة سيفا مسموما وسلاحا في خدمة الضفة المقابلة، ويضع موت الترجمة شرطا حصريا للمحافظة على الخصوصيات المحلية(11)... ورد الفعل هذا يشمل طرفي الهيمنة، وهو جديد إلى حدّ بعيد فالاتجاهات الإسلامية ذات الطابع الأصولي تكره الترجمة لأنها جسر ثقافي مسموم هدام، ولا جديد في الأمر لأن التشدّد الذي يتخذ التقوقع على لغة الآنا طريقا للمواجهة قديم، الجديد حقا هو أن نجد ثقافة مهيمنة مثل الثقافة الأمريكية تتكئ إلى المنطق نفسه... فالأخبار مثلا تتحدث عن كيفية انتقال أي عرض فني (سينما، مسرح، استعراض) أثبت نجاحه في أوروبا وفي أي مكان آخر من العالم، إلى أمريكا وكيف أن هذا العرض يجب أن يفرغ من محتواه الأجنبي تماما ليصاغ من جديد صياغة أمريكية 100% ... المنتجون

يتحدثون عن ذوق الجمهور الأمريكي، أما المحللون غير الأمريكيين فيتحدثون عن رفض وجود " أنا" غير أمريكية تزاحم "الأنا" الأمريكية في عقر دارها ... الفلم الأوروبي الناجح تشترى حقوقه ويترجم، وبدلا من دبلجة الفلم إلى اللغة الأمريكية (وهو ما يحدث لأي فلم أمريكي ينتقل إلى الأسواق الأجنبية، وهو – كذلك – ما يحدث لأي فلم في أي مكان ينتقل إلى الأسواق الأجنبية) نجد الفلم يصور من جديد بحيث لا تبقى صلة ما عدا السيناريو الأصلي.

إن الترجمة – من هذا المنظور – تصبح أداة إقصاء في مرحلة أولى، وتصبح أداة رفض للهيمنة أو إثبات لها سواء عند المتطرفين السلفيين وعند الأمريكيين وتخرج تماما عن الدور التنويري الذي يتجاوز ثنائيتي المركز والهامش إلى ثنائيات ثقافية همها المثاقفة أكثر منه أي شيء آخر(12).

يقول حسن حنفي:" ... البحث إذن عن " التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية" خطأ في الوعي بالموقف الحضاري فليس المطلوب هو معرفة انتقال التراث اليوناني إلى العالم الإسلامي، انتقالا من المركز إلى الطرف، ومن الأصل إلى الفرع كما يفعل المستشرقون وأتباعهم من الباحثين العرب بل تمثل الحضارة الإسلامية للتراث اليوناني، تمثل المركز الإسلامي للطرف اليوناني"(13).

إن القراءة الأولى لهذا النص تعطينا نظرة متماشية مع أفكار حسن حنفي، وخاصة في إطار المساجلة التي كثيرا ما خاض فيه ... إلا أن قراءة ثانية – داخل السياق الذي نحن بصدده – تجعلنا نلمس مطاطية الترجمة كممارسة، كطرف في عملية المثاقفة التي تشمل الأخذ والعطاء، والتي تميل إلى تغليب الأخذ على العطاء أحيانا أخرى (في إطار صراعات فكرية حتى في إطار الثقافة القومية الواحدة).

هذه المثاقفة التي تشمل مختلف أشكال تعامل ثقافة مع ثقافة أخرى: الصراع، التكيف، التوليف وحتى المثاقفة المضادة أحيانا.

إن معاينة سريعة للقاموس الذي استعملناه في بداية هذه الدراسة تجعلنا نستخرج الكلمات التالية: الشعر – الاهتمام – قراءة – انفتاح – تطور – علوم – بعد فلسفي – ذوق – قدسية الحرف – لوحة زيتية – قصيدة – التأمل في الذات – شعراء علماء – كفاءة – ميادين معرفية – ثقافة مسالمة ... الخ.

في حين تجعلنا معاينة نهاية الدراسة نقف على قاموس يحتوي كلمات من هذا المثيل: غالب، مغلوب ، هيمنة، قوة، عنف، صراع، قفص الاتهام، مواجهة، إقصاء، خطير، خيانة مزدوجة، عصبيات دينية، رفض وانعزال ... الخ

والمقارنة بين القاموسين داعية بلا شك إلى قلق ما، إلا أن هذه العولمة التي غيرت سياق كل شيء ليست وحيدة النمط، لذلك فإلقاء الضوء الذي نحن بصدده هو دعوة إلى التفكير – خاصة في إطار الجامعة، الذي يبقى الإطار الأمثل والأكثر شمولا للتأمل والتفكير في هذا النمط من المسائل – ... تأمل في الموقع الواجب شغله من أجل عدم الخروج من مسيرة التاريخ باتخاذ موقف انعزالي يكتفي بإلقاء الأحكام على الآخرين.

إن الملاحظين يطيلون الوقوف أما طابع العولمة السريع المحتفي بالآتي والعابر والخاطف للنظر، المنتصر للانطباع الأول المباغت القوي في مواجهة التأمل والتفكير العميق، والتحليل والدخول في التفاصيل... ويبدو للبعض كأن العولمة هي عودة إلى خصائص الثقافة الشفاهية التي تستدعي انتباه الحواس أكثر من استدعائها لانتباه العقل وتمليه(14).

إلا أن هذا لا يجب أن ينسينا خاصية هامة جدا هي كون العولمة شديدة الانفتاح على الآخر، وذلك بالموازاة مع كل ما ذكرناه سابقا، لسبب بسيط هو ارتباط العولمة بنمط اقتصادي عابر للحدود ... هذا الظرف الذي لا مفرّ منه، يجعل كل طرف مستفيد من هذه العولمة مستعدّا تلقائيا لحوار الحضارات من أجل استمرار المصالح الاقتصادية.

على ضوء هذا البصيص الأخير من الأمل، نجد أنفسنا أمام مرحلة جديدة تسمح بانتعاش الترجمة، وتدعو إلى التأمل في أدوار جديدة ومواقع للمترجم ربما لم يكن لها وجود من قبل.

إحـــــالات:

1- REDOUANE, JOELLE: la traductologie – O.P.U- Alger 1989, pp: 4 – 5.
2- Ibid – P: 6
3- Ibid- p: 8
4- Encyclopédie BORDAS – 1998 – T: X – p: 5245.
5- La traductologie – p: 13.
6- Ibid – p: 14.

7- ينظر: جورج مونان: اللسانيات والترجمة – د.م.ج – الجزائر – ترجمة: حسين بن زروق – 2000، ص ص: 207 – 210.

8- سعيد، إدوارد: الثقافة والإمبريالية – ترجمة: كمال أبـــو ديـــب – دار الآداب – لبنان – ط2: 1998 – ص: 387.

9- اللسانيات والترجمة – ص: 139.

10- تيري إيغلتون: صور الثقافة – مجلـــة "فصـــول" – ع: 63 – 2004 – ص ص: 20- 42.

11- محمد الكردي: الترجمة وحركة المثاقفة في العالم العربي – فصول – ع: 64 – 2004 – ص: 310.

12- الثقافة الإمبريالية – ص: 259.

13- الترجمة وحركة المثاقفة في العالم العربي – ص: 309.

14- المرجع نفسه – ص: 316.